المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه الطيبين الكرام، وبعد:

فمنذ المرحلة الجامعية الأولى وشاعرية أبي العتاهية تثير إعجابي وتقديري ؛ لما تحويه من معجم لغوي يزخر بالواقعية وترجمة قضايا الحياة ومسائلها بروح سلسة، لا تعقيد فيها ولا غموض، ولا يغيب عن الخاطر تلك الشعبية التي تطلُّ من نوافذ شعره على بوابات الحياة، فيستشعر الدارس أو الباحث أن هذا الشعر يعبِّر عن القارئ ويرسم له منهاج حياة، ويبسط له خبرة الشاعر في دنياه، فيعتبر منها ويتعظ، كما أن مصادر الصورة البديعية لدى أبي العتاهية أثارت في نفسي الفضول للبحث والاستقصاء، الأمر الذي عزَّز في نفسي مزيدا من الرغبة في استكناه العالم الشعري لأبي العتاهية، والبحث عن مفهومي الحياة والموت من منظور الشاعر.

ولعلَّ من درس أبا العتاهية دراسة معمّقة من خلال ديوانه الشعري، يقف على حقيقة رؤيته للحياة والموت، ويغدو قادرا على امتلاك الرّد المبني على الدليل القاطع على كل من يحاول تشويه صورة الشاعر ويشكّك بزهده، فهناك مَنْ يزعم أن زهد أبي العتاهية لم يصدر عن رؤية إسلامية خالصة، مستندا إلى بعض الروايات حول بخله وعدم ذكره الجنة والنار.

ولعلَّ من أهداف هذه الدراسة الوقوف على طبيعة المنظور الحقيقي لأبي العتاهية حول الحياة والموت من خلال استقراء شعره، وما يعكس من رؤى حقيقية لهذه المسألة.

وتأتي هذه الدراسة الموسومة بـ "ثنائية الحياة والموت في شعر أبي العتاهية، دراسة موضوعية وفنية" جديدة بموضوعاتها، بما تفرزه من رؤى تستند إلى أدلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حول حقيقة الحياة ومآلها الحتمي في نهاية المطاف، وما يجب على الإنسان أن يسلكه من أجل رضا الله تعالى لما فيه خيره في الدارين.

ولعلَّ ما تتميز به هذه الدراسة عن سابقاتها، أنها بحث واستقصاء في ديوان الشاعر الذي هو نتاج فكره ومشاعره ووجدانه، وهو انعكاس حقيقي عن تصوراته للحياة والموت.

ولعلَّ الباحث – وهو يفتِّش عن مراده – استطاع أن يحقِّق الكثير مما رسمه وهدف إليه، من خلال المنهج الإستقرائي الوصفي، حيث عَمَدَ أولاً إلى قراءة ديوان أبي العتاهية قراءة سريعة، استكشافية، ثم قراءة ثانية متفحِّصة، توقّف على معطيات الشعر والأفكار القريبة والموحية، وحلّل

تلك الأفكار والرؤى ووازن بينها وقارن، واعتمد على مراجع ومصادر مساندة من أمَّات الكتب القديمة والحديثة، والأبحاث المنشورة في المجلّات، فكانت هذه الدراسة العلمية نتاجاً خالصاً لقراءة علمية متأنية لديوان الشاعر، ولتلك الآثار الأدبية التي درستها من زوايا متنوعة، ولتحقيق الغاية المرجّوة سارت هذه الدراسة في أربعة فصول هي على النحو الآتي:

الفصل الأول خُصّص للدراسة النظرية من حيث: حياة أبي العتاهية، مولده،ونشأته، ومذهبه الديني، ودراسات حول شعره ومذهبه الفنّي، وكذلك مفهوم الحياة ومفهوم الموت لغةً واصطلاحاً.

وأما الفصل الثاني فقد تناول مفهوم الحياة الدنيا من وجهة نظر أبي العتاهية وشمل مبحثين هما: ماهيّة الدنيا وحقيقتها من ثلاثة محاور هي: تحوّلات الدُّنيا وتقلباتها، وزوال الدُّنيا وفناؤها، وخداع الدنيا وخيانتها، وأما المبحث الثاني فقد تناول ذم الدنيا والتحذير منها، من حيث: التحذير من التعلّق بالدنيا، وثنائية الشباب والشيّب، والقناعة.

بينما تناول الفصل الثالث موضوع الموت من خلال أربعة مباحث هي: حتمية الموت، والاستعداد للموت، والقبور (تأمُّل وتفكّر)، والممالك والأمم الداثرة (دروس وعِبر).

وأما الفصل الأخير، فقد خُصِّص للدراسة الفنيّة من خلال ثلاثة مباحث هي: المبحث الأول: الصورة الفنيّة من حيث التشبيه المركب والتشخيص والتجسيم، والكناية. وتناول المبحث الثاني اللغة من حيث الاقتباس، وسهولة الألفاظ، والأسلوب. وأخيرا الإيقاع الموسيقي في المبحث الثالث الذي تناول كلاً من: الوزن العروضي، والتصريع، والقافية، ورد العجز على الصدر.

وخلَصت الدراسة إلى جملة من النتائج التي استنتجها الباحث، وأخيرا جاءَت المصادر والمراجع في ختام الدراسة، وأسأل الله أن يكلِّل هذه الدراسة بالتوفيق والنجاح.

الفصـــل الأول

أبو العتاهية (حياته وشعره)

المبحث الاول: أبو العتاهية، حياته، مذهبه الدِّينيّ، أبو العتاهية في بلاط الخلفاء.

المبحث الثاني: أبو العتاهية في آثار الدارسين.

المبحث الثالث: مفهوم الحياة.

المبحث الرابع: مفهوم الموت.

المبحث الأول: أبو العتاهية اسمه ولقبه وكنيته (130هـ ــ 211هـ).

يرى الباحث أن الحديث عن أبي العتاهية يشكّل بعداً مهماً من جوانبه المختلفة ؛ لأنه يسلّط الضوء على نتاجه الشعري، النتاج الذي لا ينفصل عن ممارسات الشاعر في واقعه الحياتي، انطلاقا من تلك المقولة: الأدب نتاج تفاعل الأديب مع بيئته المحلية.

اسمه وكنيته ولقبه:

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عطاء بن محجن العنزي، يعود في أصله إلى قبيلة عنزة، وأن جدهم من كيسان كان من أهل عين التمر، ولد بالكوفة سنة 130هجرية ونشأ بها، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة، ولقبه أبو العتاهية، وكلمة «عتاهية» تدلُّ على معانٍ كثيرة؛ يقول ابن منظور في لسان العرب: «عته في العلم: أولع به وحرص عليه، والعتاهة والعتاهية مصدر «عته»؛ مثل الرفاهة والرفاهية، والعتاهية ضلال الناس من التجنُّن والدهش، والتعتُّه المبالغة في الملبَس والمأكَل، ورجل عتاهية أحمق، وتعتَّه تنظف »[1]، وأشار أبو العتاهية نفسه إلى لقبه هذا بقوله:

فاســـــــمعْ لنصـــــــحِ مشـــــــفقٍ يُـــــدعى أبـــــا العتاهيـــــةُ[2]

وقيل: إن السبب في تلقيبه بأبي العتاهية هو أن المهدي قال يوما له: أنت إنسان متحذلق معتّه، فغلبت عليه، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وسارت له بين الناس، وقيل إنه كني بذلك لأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعتّه.

وقيل في ارتجال أبي العتاهية الشعر: قال عبد الله بن الحسن: « جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إلي. فقلت: يا أبا إسحاق، أما يصعب عليك شيء من الألفاظ، فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مستكرهة؟ قال: لا. فقلت له: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة. قال: فأعْرِض عليّ ما شئت من القوافي الصعبة. فقلت: قل أبياتاً على مثل البلاغ. فقال من ساعته:

أيُّ عـــيشٍ يكـــونُ أبلـــغَ مـــن عيـــ ـــــشٍ كفـــافٍ قـــوت بقَـــدرِ الـــبلاغِ
صـــاحبُ البغـــيِّ لـــيسَ يســـلَمُ مِنـــهُ وعلـــى نفســـهِ بغـــى كـــلُّ بـــاغِ

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت،د.ت مادة «عَتَهَ »
(2) أبو العتاهية، اسماعيل بن القاسم، الدّيوان، شرح عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1997، ص367

رُبَّ ذي نعمـــــةٍ تَعـــــرَّضَ مِنهـــــا حائِـــــلٌ بَينـــــهُ وبـــــينَ المَسَـــــاغِ
أبلِـــغَ الـــدّهرَ فـــي مواعِظِـــهِ بـــل زادَ فـــيّهُنَّ لـــي علـــى الإبـــلاغِ
غَبَنتنـــيَ الأيـــامُ عَقلـــي ومـــاليَ وشَـــبابي وَصـــحَّتي وَفراغـــي[1]

أبو العتاهية وسُعدى.

كان أبو العتاهية يهوى في حداثته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى، وكان عبدالله بن معن بن زائدة المكنّى بأبي الفضل يهواها أيضا، وكانت مولاة لهم، وكان أبو العتاهية يعرّض بها، وقد هدده مولاها معن، فقال أبو العتاهية:

ألا قُـــــل لابـــــنِ مَعـــــنِ ذا الـــذي فـــي الـــودِّ قَـــد حَـــالا
لـقـــــد بُلّغـــــتُ مـــــا قـــــالَ فَمـــــا بَالَيْـــــتُ مـــــا قـــــالا [2]

ويتعلّق أبو العتاهية بجارية من جواري زوجة المهدي رائطة بنت السفّاح، وهي عتبة، وكانت تزدريه كما ازدرته سُعدى من قبل، ومضى لا يكف عن غزله بها ولا يرعوي، فعرّفت مولاتها خبره وأثارتها عليه، فحدّثت المهدي بشأنه، فغضب لتعرّضه لحرمه وجواري قصره، وأمر بضربه مائة سوط، وسجنه، وشفع له منصور الحميري، فعفا عنه المهدي وردّ إليه حريته، ويذكر بعض الرواة أنه لم يكن حبه لها صادقا، بل كان لغاية شهرته بين الأوساط الأدبية.[3]

مذهبه الديني:

إن الحديث عن العقيدة التي يؤمن بها الشاعر مهمّة جدا في تناول الآثار الأدبية له، كما تأتي أهميتها؛ للتّصدي لمحاولات بعض النّقاد والدارسين الذين يشككّون بمذهبه دون رؤية علمية وموضوعية محايدة. يرى بعض من درس شعر أبي العتاهية أن زهده لم يكن إسلاميا بحتا؛ لأنه لم يذكر الجنة والنار، بل كان يكثر من تخويف الناس من الموت وعذاب القبر والفناء والخراب، واتّهم بالزندقة ومذهب المانوية والثنويّة [4]، الذي يرى أن للعالم أصلين: النور والظلمة، فمن

(1) أبو العتاهية، الدّيوان، ص212
(2) المصدر نفسه، ص287-288
(3) الحصري، أبو إسحاق ابراهيم بن علي (ت453هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق. محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، د.ت، مجلد1، ج2، ص381-384»
(4) ابن المعتز، عبدالله، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص228.

النور نشأ الخير، ومن الظلمة نشأ الشر[1].

وعلى الرغم من أن المانوية كانت تعتقد أن للنور والظلمة إلاهين، إلا أن أبا العتاهية خالفها، ورفض هذه العقيدة، وأدان بالتوحيد، ويظهر ذلك في قوله:

فيـــا عجبـــا كيـــف يَعصِـــي الإلـــــهَ أم كيـــــــف يجحـــــــدُهُ الجاحـــــــدُ
وفـــي كـــلّ شـــيءٍ لـــهُ آيـــــــةٌ تـــــدلُّ علـــــى أنـــــهُ الواحـــــدُ[2]

ويرى شوقي ضيف أن مذهب أبي العتاهية هو مزيج بين عقيدة الإسلام وعقيدة المانوية، أي أنه مانويّ من نمط جديد، إلا إذا كان يخفي مانويته خلف الوحدانية[3].

ويصور أبو العتاهية نفسه بصورة بوذا الملك الهندي الذي خلع ثياب ملكه، وساح في العالم متنسكا وعابدا، يقول مشبها نفسه بصورة الملك الهندي:

يـــا مـــن تشـــرّف بالـــدنيا وطينتهـــا لـــيس التشـــرّفُ رفـــعَ الطَـــينِ بـــالطَين
إذا أردتَ شـــــريفَ النـــــاسِ كلّهِـــــمِ فـــانظرْ إلـــى مَلِـــكٍ فـــي زِيّ مســـكين[4]

ومن خلال استقراء شعر أبي العتاهية، يتبين أنه كان مؤمناً وموحداً لله، وينفي عن نفسه تلك التهمة الباطلة، وقيل: إنّ أبا العتاهية قال في مجلس: زعم الناس أني زنديق، والله ما ديني إلا التوحيد. فقلنا له: فقل شيئا نتحدّث به عنك، فقال:

ألا إنَّنَـــــــا كُلَّنَـــــــا بائـــــــــدُ وأيّ بَنـــــــــــي آدَمٍ خالِـــــــــــدُ؟
وبـــــدؤهُمُ كـــــانَ مِـــــنْ ربِّهـــــمْ وكُـــــلٌّ إلـــــى رَبّـــــهِ عائِـــــدُ[5]

ويدلّل الرواة على أن طمع أبي العتاهية وحرصه على جمع المال في بلاط الخلفاء واستمراره المديح للتكسب بشعره، دليل على عدم سلامة مذهبه في الزهد.

وينال جوائز الرشيد وجوائز أمه زبيدة، ولما قتل الأمين وقلّد المأمون العراق الحسن بن سهل، يدقّ بابه، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف

(1) الأصفهاني،الأغاني،تحقيق سمير جابر،دار الفكر، بيروت،د.ت، ج4، ص8 ـ انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،ط8،1966، ص241-242
(2) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص104
(3) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي. العصر العباسي الأول، ص242
(4) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص329
(5) المصدر نفسه، ص104

درهم، وقدم المأمون فاستقبله بمثل قوله:

لَخيـرُ إمـام قـام مـن خيـر عنصـر وأفضـل راق فـوق أعـواد منبـر[1]

وقيل: أُنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما الخاسر:

تعـالى اللهُ يـا سـلمَ بـن عَمـروٍ أذلَّ الحـرصُ أعنـاقَ الرجـالِ([2])

فقال المأمون: إن الحرص لمفسد للدين والمروءة، والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فرأيت فيه مصطنعا، فبلغ ذلك سلما فقال: ويلي على المخنّث الجرّار الزنديق، جمع الأموال وكنزها وعبّأ البدور في بيته ثم تزهد مُراءاة ونفاقا، فأخذ يهتف بي إذا تصدّيت للطلب [3].

وهو في النص الواحد يناقض نفسه، فحيث يرغب في البذل، يعترف بأن نفسه لا تسمو إلى منزلة التورع عن المال والفرح بالظفر به، يقول:

إنَّ لِلْخيـرِ لرَسّـماً بَينـا طبَـعَ اللهُ عَلَيْـهِ مـا طبَـعْ
قـدْ بَلَوْنـا النَّـاسَ فـي أخْلاقِهِـمْ فرَأيْنـاهُمْ لـذي المـال تبَـعْ
وَحَبيـبُ النَّـاس مَـنْ أطْمَعَهُـمْ إنَّمـا النَّـاسُ جَميعًـا بـالطّمَعْ
احْمَـدِ اللهَ عَلـى تْـدبيرِهِ قـدّر الـرزق فـأعطى وَمَـنعْ
سُـمْتُ نفْسـي وَرعـاً تَصْـدُقُهُ فنهاهـا الـنقص عـن ذاك الـوَرَعْ
وَلِنفْسـي غَفَـلاتٌ لـمْ تـزَلْ ولهـا بالشَّـيْءِ أحْيانًـا وَلـعْ
وَلِنفَسْـي حـينَ تُعْطـى فـرَحٌ واضْـطرابٌ عِنْـدَ مَنْـعٍ وَجَـزَعْ [4]

تكشف الأبيات الثلاثة الأخيرة أنه ليس ممن طَبعهم الله على الخير الذي وضّحه البيت الأول، وليست نفسه قادرة على الاستجابة للوَرع في صدق، بسبب ما فيها من نقص الطمع كما في البيت الرابع، وبعده يوضح صراحة أنه حمَل نفسه على صدق الورع فردّها نقصها، وإنها لنفس تفرح بالأخذ، وتجزع ويضطرب أمرها بالمنع، وهي نفسٌ ولوعةٌ بالأشياء، ذلك أنَّ غفلاتها

(1) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص165
(2)المصدر نفسه، ص257
(3) الأصفهاني، الأغاني، ج4 ص39
(4) أبو العتاهية، الديوان، ص197-198

- على المثل الأعلى - لم تَزل ماثلة فيها تردّها وتقهرها.[1]

ويُروى أنه كان أحمد بن يوسف صديقا لأبي العتاهية، فلما خدم المأمون وخصّ به، رأى منه أبو العتاهية جفوة، فكتب إليه:

أبـــا جعفـــرٍ إنَّ الشـــريف يَشـــينُهُ تتايُهُـــه علـــى الأخِـــلاءَّ بالوَفـــرِ
ألـم تـرَ أن الفقـر يُرجـى لـه الغنـى وأنّ الغنـى يُخشـى عليـهِ مـن الفقـرِ
فـإن نلـتَ تيهـاً بالـذي نلـتَ مِـن غِنـى فـإنّ غِنـاي فـي التجمّـلِ والصـبرِ[2]

قال: فبعث إليه بألفي درهم، وكتب إليه يعتذر مما أنكره[3].

وهناك من يشكك في حقيقة الزهد عند أبي العتاهية، فيرى انها تعود إلى رغبته باتخاذ الزهد طريقة فنية ينفرد بها عن الشعراء[4] « وإذا صحت قضية بخله، فإننا نكون قد واجهنا شخصية مزدوجة متناقضة، ويتمثل هذا التناقض في قضيتين هما: السلوك، والقول، فالسلوك لم نشهده، وكذلك القول لم نسمعه بشكل مباشر، فمثلما نستدلّ على زهده بشعره الذي وصل إلينا عن طريق الرواية، فإنَّ أخبار سلوكياته، وصلت إلينا عن طريق الرواية أيضا، ولو تحقق ذلك، لكان الشاعر كريما سخيا، لا ينظر على دنياه وبخاصة أنه يتبنى مبدأ الزهد ويترفع عن لذة الحياة ورغد العيش، لكن الأخبار جاءت نافية لأشعاره»[5]، ولعلَّ مبعث التحامل عليه يعود إلى الحسد الذي كان عنواناً لكثير من الشعراء الذين كانوا في بلاط الخلافة « والصحيح أن ما وُجّه لأبي العتاهية من تهم قد يكون مبعثها حسد الحساد والمناوئين، فهم عصبة في كل بلاط، يدل على ذلك ما روي من آرائهم فيه واعترافاتهم بشاعريته، فهي أقوال يشم منها رائحة الحسد والكره والغيرة»[6]

كان في نفس أبي العتاهية جذور قديمة للزهد والميل إلى ذكر الموت علي رغم نشأته الماجنة وحياته العابثة، وزهده كان في أصل طبعه ومزاجه، وكانت ردّة فعله من خطيآته طول

(1) عبدالله، محمد لطفي نايف، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي اسحاق الألبيري، دراسة موازنة، رسالة ماجستير، اشراف أ.د. وائل أبو صالح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009، ص25
(2) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص167
(3) الأصفهاني، الأغاني، ج4،ص82
(4) سعيدي، زهراء، دراسة حول زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد الثامن، 1389هـ، ص5.
(5) بهار، حسن علي بشير، التناص الديني عند أبي العتاهية، اشراف د. محمد مصطفى كلاب، جامعة غزة، كلية الآداب، رسالة ماجستير 2014، ص 9-10.
(6)بهار، حسن علي بشير، التناص الديني عند أبي العتاهية، مرجع سابق، ص9.

حياته، وما يراه من ظلم وجور وفتك زمانه، وزهدياته على الإجمال مُوَجّهة إلى العقل وأقرب إلي الخطب المنبرية البليغة، ويجمع بين دفتيه شعراً كثيراً في التذكير بيوم القيامة وذكر الجنة والنار، ولهذا الجانب من شعره أهمية، والذين عدوّا زهده غير إسلامي ومانوياً اقتصاراً على التذكير بالموت وذم الدنيا، قد أخطأوا. وإنّما يعود ذلك من دون العودة إلى ديوان الشاعر ؛ للتأكّد من ذلك كما كان هذا الأمر نتيجة حسد بعض معاصريه، ففكّر أبو العتاهية في أحوال الحسّاد، ورأى فيهم ظلما وحسدا وبلاء[1]. ويقول خليف: « حديث أبي العتاهية عمّا بعد الموت يدور كلّه في جو إسلامي خالص، ويستمدّ معانيه وأفكاره مما ورد عن هذا الموضوع في القرآن والحديث، ولهذا نلاحظ أنّ الميزة التي تميز شعر أبي العلاء حين كان يتحدّث عن مشكلة ما بعد الموت، تختفي كليّا من شعر أبي العتاهية؛ ليحلّ محلها الإيمان الديني المطمئن واليقين الثابت»[2]

وأنشد بعض الحضور في مجلس الجاحظ مزدوجة (ذات الأمثال)، فقال الجاحظ للمنشد: قف، ثم قال: انظروا إلى قوله: روائح الجنة في الشباب، فإنّ له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه، وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال إنّ له فيها أربعةَ آلاف مثل، منها قوله:

حَسْبُكَ مِما تبتغيه القُوتُ ... ما أكثرَ القُوتَ لِمَنْ يَموتُ

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه ... مَفْسَدَةٌ للعقلِ أيُّ مَفْسَدَة

هِيَ المَقاديرُ فَلُمْني أوْ فَذَرْ ... إنْ كُنتُ أخْطَأتُ فما أخْطا القَدَر [3]

يلحظ الباحث أن بعض الدارسين لشعر أبي العتاهية يتبنون مقولة: لم يكن زهده إسلاميا بحتا، كما نرى اتهامهم له بأن رواسب ديانة المانوية ما زالت في فكره واعتقاده، وأن ما يظهر في شعره هو مزيج من الإسلام والمانوية على الرغم من اتهامهم له بالزندقة، من خلال حرصه على المال من جانب والتكسب عند الخلفاء من جانب آخر، وأدى هذا إلى اتهامه بالتناقض في شخصيته، إلا أن هناك مَن يرى أن زهده كان إسلاميا بحتا ؛ لأنه كان يستمد موضوعاته الشعرية ومعانيه اللغوية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(1)سعيدي، زهراء، دراسة حول زهديات أبي العتاهية، ص73

(2) بهجت، مصطفى خليف، التيار الإسلامي في الشعر العباسي، بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون العربية، د.ت، ص77

(3) أبو العتاهية، الدّيوان، ص370-372

ويخلص الباحث إلى قناعة راسخة ناجمة عن استقراء حقيقي لشعر أبي العتاهية وهي: أن الشاعر كان يصدر في زهده عن تجربة دينية واضحة، ولكنها ليست مثالية كاملة، فكان يشوبها أحياناً بعض المنغِّصات التي لا تفسد مذهبه الدِّيني، أو تحطّ من شأنه ومقداره.

أبو العتاهية في بلاط الخلفاء:

كانت حال أبي العتاهية في بلاط الخلفاء متذبذبة بين القرب والبعد، فنجد حب الرشيد لأبي العتاهية حيث حظي في بلاطه بمكانة كبيرة، وكان الجليس والرفيق للرشيد، حتى أن الرشيد كان يتمثل شعره في مواطن كثيرة، إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا لغياب أبي العتاهية عن ديوان الرشيد وتركه المنادمة وشعر الغزل، فَيُحبس طويلا إلى أن يعود إلى ما عُرِفَ عن غزل ومنادمة، كما أن أبا العتاهية نال قدرا من محبة الخليفة المأمون لا تقل عن محبة الرشيد إلى أن عشق إحدى جواري المأمون، فأغضب ذلك الخليفة فحبسه وجلده عقابا له على ذلك، ولا يقل حب الناس لأبي العتاهية وتعلقهم به وتعصبهم إليه عن حب الخلفاء آنذاك، إذ كانوا يفضلونه على كثير من شعراء عصره، ويتمثلون شعره كحال خلفائهم في مواطن كثيرة. ومن ذلك يروى أنه قيل: خُمّ الرشيد فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لـــو علـــم النـــاس كيـــف انـــت لهـــم ... مـــــاتَ إذا مـــــا ألِمْـــــتَ أجمَعُـــــهُمْ

خليفـــةُ اللهِ أنـــتَ تـــرجحُ بالنّـــــا ... سِ إذا مـــــا وُزنـــــتَ أنـــــتَ وهـــــمْ

قـــد عَلـــمَ النـــاسُ أنّ وجهـــك يســـــ ... ـــــتغني إذا مـــــا رآه مُعْـــــدِمُهمْ[1]

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد، فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يسامره، ويحدثه إلى أن برئ ووصل إليه بذلك السبب مال جليل. وكان هارون الرشيد إذا رأى عبدالله بن معن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية:

أخـــتُ بنـــي شـــيبان مـــرّتَ بنـــا ... ممشـــوطةً كـــورا علـــى بغـــلِ

وأول هذه الأبيات:

لا تكُثـــرا، يـــا صـــاحِبَي رَحْلِـــي ... فـــي شـــتمِ مَـــنْ أكثـــر مـــن عَـــذّلي

(1) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص306

سبحان من خصّ ابنَ معنٍ بما أرى به من قلّةِ العقلِ[1]

ويروى أنَّ محمداً بن أبي العتاهية قال: كان أبي لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهد ، وترك حضور المنادمة والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحبس، فكتب إليه من وقته:

أنا اليَومَ لي والحمدُ لله أشْهُرُ يَرُوح عليّ الغَمُّ مِنْكُمْ ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقِّي وحُرْمتي وما كنتَ تُوليني لعلك تَذْكُرُ
ليالِيَ تُدْني منك بالقُرْبِ مجلسي ووجهُك من ماء البشاشةِ يَقْطَرُ
فمَنْ ليَ بالعين التي كنتَ مرّةً إليّ بها في سالفِ الدهرِ تنظَرُ[2]

قال: فلما قرأ الرشيد الأبيات قال قولوا له: لا بأس عليك فكتب إليه:

أرِقت وطار عن عَيْني النُّعاسُ ونام السامرون ولم يُوَاسُوا
أمينّ الله أمْنُك خيرُ أمنٍ عليك من التُّقَى فيه لِباسُ
تُساس من السماء بكلّ بِرٍّ وأنت به تَسُوس كما تُساسُ
كأنّ الخَلْقَ رَكْبٌ فيه رُوحٌ له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ
أمِينَ الله إنّ الحَبْسَ بأسٌ وقد وقعتْ ليس عليك باسُ[3]

وكتب إليه أيضا في الحبس:

وكَلّفتَني ما حَلْتَ بيني وبينه وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبان كَلّفتُ واحداً هواكَ وكلّفتُ الخَليّ لِمَا يَهْوَى[4]

وأمر الرشيد أبا العتاهية بأن ينشد من غزله فامتنع عليه فحبسه وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول فحبسته في بيت خمسة أشبار في مثلها فصاح الموت

(1) أبو العتاهية، الدِّيوان، ص288
(2) المصدر نفسه، ص165
(3) المصدر نفسه، ص178- 179
(4)المصدر نفسه، ص33